

الفصل الثالث

أخلاقيات الداعية

الإخلاص :

يجب على الداعية أن يقصد بدعوته وجه الله وحده ، ويتعد في دعوته عن مظاهر الرياء والسمعة ، لأن الله - سبحانه - لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم .

وقد حث القرآن الكريم على الإخلاص في القول والعمل فقال عزَّ شأنه : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (١) .

وقال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » (٢) .

وقال ﷺ : « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ، ليوم لا ريب فيه ، نادى منادٍ : من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » (٣) .

(١) سورة البينة : الآية ٥ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذى .

فعلی الداعية إلى الله - سبحانه - وهو يتحرك بين الجماهير داعياً وناصحاً ومرشداً أن يحتسب كل كلمة ينطق بها وكل جهد يقدمه ، وكل تعب يصيبه عملاً في سبيل رفع راية دينه ومرضاة ربه ، إن الدابة قد تكدح سحابة النهار نظير طعامها ، والداعية قد يهبط بقيمة جهده إلى مستوى الحيوان ، فيكون عمله لقاء راتبه فحسب .

لكن الرجل العاقل يسمو بتفكيره ونشاطه ، فيجعلهما لشيء أجل . ومن المؤسف أن كثيراً من إخواننا الدعاة والوعاظ - أصبحوا كغيرهم من جماهير الموظفين لا يفهمون إلا منطلق المال والدرجة والترقية ويربطون رضاهم وسخطهم وفتورهم ونشاطهم بميزانه المضطرب .

قال رسول الله ﷺ : « إذا كان آخر الزمان صارت أمتي ثلاث فرق : فرقة يعبدون الله خالصاً ، وفرقة يعبدون الله رياءً وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس ، فإذا جمعهم الله يوم القيامة قال للذي يستأكل الناس ؛ بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي ؟ فيقول : وعزتك وجلالك أستأكل بها الناس . قال : لم ينفعك ما جمعت : انطلقوا به إلى النار . ثم يقول للذي كان يعبد رياءً : بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي ؟ قال : بعزتك وجلالك رياء الناس ! قال : لم يصعد إلى منه شيء ، انطلقوا به إلى النار ، ثم يقول للذي كان يعبد الله خالصاً : بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي ؟ قال : بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك مني . أردت به ذكرك ووجهك ، قال : صدق عبدی انطلقوا به إلى الجنة » (١) .

(١) الطبراني .

يقول أستاذنا الشيخ محمد الغزالي - أعزه الله - إننا نلاحظ - آسفين - أن ميدان الدعوة إلى الله غصّ بأقوام يجعلون وجه ربهم آخر ما يرعى ويرغب ، كأن الأمر لا يعدو أن يكون حرفة تدرّ ربحاً قليلاً أو كثيراً وقد رأينا الدعاة المحترفين يقومون بواجباتهم وليس يسيطر عليهم الإتهيب مخالفة الرئيس أو تملق عواطفه وفي إحدى قرى الريف لوحظ أن إمام المسجد كان يصلّي المغرب بآيتين من أواخر السور .

فإذا حضر العمدة الصلاة كان هذا الإمام يتحرى أن يصلّي المغرب بسورتين كاملتين يجود قراءتهما في الركعتين الجهريتين !!

ولا شك أن هذا هو الرياء المحبط للأعمال ودلالته الصارخة أن الرجل يصطنع من أجل الناس صلاة أطول وأجود .

وأن الأمر لو وُكِّل إلى صلته الخاصة بالله ، لكانت الصلاة أقل وزناً !!

ومن يدري لعله - لولا ضرورات العيش - ما صلى قط .. وتقهقر الأديان في حلبة الحياة يرجع إلى مسالك هؤلاء الأديعاء^(١) .

هذا وقد وردت آثار كثيرة تفضح النفاق والمنافقين . وتبين أن أعمالهم سترد في وجوههم يوم القيامة جزاء شركهم بالله - سبحانه - .

روى عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤمر يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها

(١) الأستاذ الشيخ محمد الغزالي : مع الله ٢٠١ وما بعدها .

فلا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها فيقولون : « ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا الجنة » وفي رواية « قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك لكان أهون علينا : قال : ذلك أردت بكم ، كتتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظام ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ، تراوون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهابوني ، وأجللتم الناس ولم تجلوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لي ، اليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب » (١) .

وقد نبه القرآن الكريم إلى أن نفرًا من الذين يلبسون شارات الإيمان ، يصدون الناس عن الإيمان .

ومن يتكلمون عن الله يأكلون باسمه أموال الناس سحتًا .

قال جل شأنه : ﴿ إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

وهذا الصنف من أدعياء العلم والتدين جعل الشاعر « أحمد زين » يقول في ألم وضيق :

ودعى الدين والدين يشكو فعلات كالكفر منه لعينه
نال ما يشتهى من الجاه باسم الدين زورًا في الأمة المسكينة
هو فيهم كالذئب بين دجاج أو شياه يختار منها السمينة

(١) رواه الطبراني في الكبير والبيهقي .

(٢) سورة التوبة الآية ٣٤ .

فقد الدين واليقين وصار المال والجاه دينه و يقينه
اتخذ الإفك والتملق ديناً فجميع الأدبان تلعن دينه
عن علي رضي الله عنه أنه ذكر فتنا تكون في آخر الزمان فقال له
عمر : متى ذلك يا علي ؟

قال : إذا تَفَقَّهَ لغير الدين ، وتعلم العلم لغير العمل ، والتمست
الدنيا بعمل الآخرة « (١) .

فعلى الدعاء أن يطهروا أنفسهم من الأهواء والأدواء وأن يكون
حُبهم وبغضهم في الله سبحانه .

عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضي الله عنه ، خرج إلى المسجد
فوجد معاذاً عند قبر رسول الله ﷺ ينكي ، فقال : ما يكيك ؟
قال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ .

قال : « اليسير من الرياء شرك » .

ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبرار
الأتقياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم
مصاييح الهدى يخرجون من كل ظلمة « (٢) .

ذلك ، وقد علمنا الرسول ﷺ من الدعاء ما يكون عوناً لنا على
تطهير النفس من أدران الشرك والرياء فكان من دعاء النبي ﷺ إرشاداً

(١) رواه عبد الرازق في كتابه موقفاً .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي في كتاب الزهد له ولغيره ، وقال الحاكم :
صحيح ولا علة فيه .

لأتمته وتعليمًا لها : « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه » .

- روى أن مسلمة بن عبد الملك ، حاصر حصناً من حصون الكفار ، وطلال الحصار ، فرأى مسلمة نقبا في جدار الحصن ، فندب جنده إلى دخوله ، فتهيبوا وخرج رجل مقنع من عُرْض الجيش - أى من عامته - لم يعرفه أحد ، فدخل النقب وفتح باب الحصن ودخله المسلمون .

فأحسب مسلمة أن يعرف الرجل ، فنادى في جنوده ، من صاحب النقب ؟

فلم يخرج إليه أحد .

فقال عزمت عليه أن يأتينى فى أى ساعة شاء من ليل أو نهار . وأوصى حاجبه أن يُدخِل عليه : كل من يأتيه .

فجاءه رجل وقال : استأذن لى على الأمير .

قال له : أنت صاحب النقب ؟

قال : أنا أدلكم عليه .

فدخِل وسلم وقال : أيها الأمير ، إن صاحب النقب يشترط عليكم ثلاثا .

أن لا تكتبوا اسمه فى صحيفة إلى الخليفة .

وأن لا تأمروا له بعتاء .

وأن لا تسألوه عن اسمه .

قال : له ذلك ، فمن هو ؟

قال : أنا هو ، وانصرف .

فكان مسلمة بعد ذلك لا يصلى صلاة إلا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب^(١) .

العابد والشجرة :

وروى أنه كان فى بنى إسرائيل رجل عابد ، عبد الله دهرًا طويلًا فجاهه قومه فقالوا :

إن هناك قومًا يعبدون شجرة من دون الله تعالى . فغضب لذلك ، فأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها .

فاستقبله إبليس فى صورة رجل ، فقال : أين تريد ؟

قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة .

فقال : وما أنت وذاك ؟ تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت

لغير ذلك ؟ !

قال : إن هذا من عبادتى .

قال : إنى لا أتركك أن تقطعها .

فقاتله ، فأخذه العابد وطرحه على الأرض وقعد على ظهره .

فقال له إبليس : أطلقنى حتى أكلمك .

(١) البيهقى : الأمر بالمعروف ص ٦٥ .

فقال عنه فقال إبليس : إن الله تعالى أسقط عنك هذا ، ولم يفرضه عليك ، أنت ما تعبدها ، وما عليك من غيرك ؟ والله تعالى أنبياء فى الأرض ، ولو شاء لبغثهم إلى أهلها ، وأمرهم بقطعها .

فقال العابد : لا بد لى من قطعها .

فقاتله الشيطان : فعلبه العابد مرة أخرى ، وصرعه وقعد على صدره فمعجز إبليس فقال للعابد هل لك فى أمر بينى وبينك ، وهو خير لك وأنتفع ؟

قال : وما هو ؟

قال : أطلقنى حتى أقول لك .

فأطلقه ، فقال : أنت رجل فقير لاشىء لك ، ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسى جيرانك وتشبع وتستغنى عن الناس .

قال : نعم .

قال : فارجع عن هذا الأمر ، ولك على أن أجعل عند رأسك كل ليلة دينارين ، إذا أصبحت أخذتهما ، فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على إخوانك ، ويكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة ، التى يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها ، ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطع هذه الشجرة !

فتفكر العابد فيما قال ، وقال له : صدقت لست نبيا فيلزمنى قطع هذه الشجرة .

ولا أمرنى الله تعالى أن أقطعها ، فأكون عاصيا بتركها .

وما ذكرته أكثر منفعة من قطعها .
 فعاهد على الوفاء بذلك ، وحلف له .
 فرجع العابد إلى متعبده فلما أصبح ، رأى دينارين عند رأسه
 فأخذهما ، وكذلك الغد .
 ثم أصبح اليوم الثالث ، وما بعده ، فلم ير شيئاً ، فغضب وأخذ
 فأسه على عاتقه وتوجه نحو الشجرة .
 فاستقبله إبليس ، فقال : إلى أين ؟
 فقال : أريد قطع الشجرة .
 فقال : كذبت والله ما أنت بقادر عليها ، ولا سبيل لك إليها .
 فتناوله العابد ليأخذه كما فعل أول مرة .
 فقال : هيهات ! فأخذه إبليس وصرعه ، فإذا هو كالعصفور بين
 رجلى إبليس ، وقعد إبليس على صدره ، وقال : لتنتهين عن هذا
 الأمر ، وإلا قتلتك فنظر العابد فإذا لا طاقة له به .
 فقال : يا هذا ، غلبتني فحلّ عني ، وأخبرني كيف غلبتك أول
 مرة ؟ وكيف غلبتني الآن ؟
 فقال : غضبت أول مرة لله تعالى ، وكانت نيتك الآخرة فسخرني
 الله تعالى لك ، فغلبتني ، وهذه المرة غضبت لنفسك والدنيا
 فصرعتك^(١) .

(١) البيهقي : الأمر بالمعروف ص ٦٧ ، والقصة موجودة في الإحياء .

الصبر :

من أزم الأخلاق التي يحتاج إليها الداعية خلق الصبر ، لأن طريق الدعوة مليء بالأشواك والابتلاءات ، والمحن التي تزلزل كيان الداعية إلا أن يعتصم بحبل الله المتين ، ولقد قال ربنا في محكم آياته : ﴿ أَحْسِبَ الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (١) .

والذي يظن أن طريق الدعوة مفروش بالورود والرياحين واهم في ظنه ، جاهل بحقيقة الدعوات وتاريخها .

لقد رأينا بأعيننا كيف توجه الاتهامات الباطلة ، والأقاويل الكاذبة إلى أنبل الدعاة وخيارهم للحط من شأنهم وتقليلاً من قدرهم ومكانتهم .

ورأينا الدعاة وهم يساقون إلى السجون والمعتقلات دون جريمة اقترفوها إلا أن يقولوا ربنا الله .

ورأينا الدعاة وهم يقصون من أعمالهم ويعيدون عن مساجدهم وجماهيرهم ، ورأينا الدعاة يمثال في خداعهم وإغرائهم بالمنصب والوظيفة تارة ، والمال والجاه تارة أخرى .

ورأينا الدعاة وهم يساقون إلى الموت شتقاً بحجة أنهم أرادوا قلب نظام الحكم وإفساد العباد والبلاد !!

(١) سورة العنكبوت : الآيات : ٢ ، ٣ .

نعم رأينا الكثير والكثير من هذه الابتلاءات التي تعرض لها الدعوة ويمكن أن تنال من كل داعية صادق باع نفسه لله .

فعلى الدعوة إلى الله أن يوطنوا أنفسهم على تحمل المشاق واستعذاب العذاب في سبيل الله ، دون يأس أو خور ، وليكن قدوتهم إمام الدعوة وسيد المرسلين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه في الثبات والصمود .

والقارئ لسيرة المصطفى ﷺ يعلم كيف سلك المشركون مع صاحب الدعوة العظمى مسالك شتى ، وأساليب متنوعة في الاضطهاد والكيد ليصدوه عن دعوته ويتنوه عن رسالته .. لقد أغروه بالمال والرياسة والجاه ، وسلكوا معه طريق الاستهزاء والسخرية والاتهام ، وسلكوا معه طريق المقاطعة الشاملة له ولمن آزره وقرروا أخيراً اغتياله وقتله كل ذلك والرسول ثابت مستمسك بالحق الذي شرفه الله به ، وما أجمل قول النبي الكريم لعمة الذي أراد أن يثنيه عن دعوته : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته » .

وقد بين القرآن الكريم أن الدعوة السابقين ، أصابهم من بأساء الدعوة وشدتها ما زلزل أركانهم .

فقال - سبحانه - : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبُؤْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (١) .

(١) سورة البقرة آية ٢١٤ .

ولأمر ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ
وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١).

وهذا—أيضاً—ما بينه الرسول ﷺ فيما يرويه سعد بن أبي وقاص
—رضي الله عنه—قال: «قلنا يا رسول الله: أى الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء
ثم الأمثل فالأمثل يبتلى المرء على حسب دينه، فإن كان دينه صلوا اشتد
بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء
بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»^(٢).

وروى مسلم فى صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « حفت
الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » .

وروى البخارى فى صحيحه أنه لما اشتد إيذاء قريش على ضعفاء
المؤمنين جاءوا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة يقولون :
« ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال لهم النبي ﷺ : « قد كان من قبلكم
يؤخذ الرجل ، فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها فيؤتى بالمنشار فيوضع
على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ..
فما يصرفه ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب
من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم
تستعجلون !!

هذا ما كان عليه رسول الله ﷺ فى مجال الصبر قولاً وعملاً ؛
فإذا ولينا وجهنا شطر صحابته الأبرار وجدنا من مواقف البطولة

(١) سورة لقمان آية ١٧ .

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم .

وتحمل الأذى ما يجعلنا نطأء الرأس إجلالاً لهذا الصحب المبارك
الكريم .

فهذا بلال - رضى الله عنه - يقول عنه ابن هشام فى سيرته :
« كان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف .. يخرججه
إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر
بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا والله لا تزال
هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد ، وتعد اللات والعزى ،
فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحد أحد .. حتى مرّ به أبو بكر
الصديق رضى الله عنه يوماً . وهم يصنعون ذلك به فقال لأمية بن
خلف ألا تنقى الله فى هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال : أنت الذى
أفسدته فأنقذه مما ترى ، فقال أبو بكر : أ فعلُ ، عندى غلام أسود
أجلدُ منه وأقوى ، على دينك ، أعطيكه به ، قال : قد قبلتُ فقال .
هو لك ، فأعطاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه غلامه ذلك ، وأخذته
فأعتقه » (١) .

والحق أن المسلمين الأوائل فى مكة نالهم من الأذى والعذاب
مالا يطيقه إلا من نوى الشهادة ، وآثر الحياة الأخرى ورضى بعذاب
الدنيا على العودة إلى ملة الكفر والضلال .

قال ابن اسحاق : وكانت بنو مخزوم ، يخرجون بعمار بن ياسر
وبأبيه وأمه ، وكانوا أهل بيت إسلام ، إذا حميت الظهيرة يعذبونهم
برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول فيما بلغنى : صبرا

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٨/١ (بتلخيص) .

آل ياسر ، موعدهم الجنة ، فأما أمه فقتلوها وهي تأتي
إلا الإسلام^(١) .

روى ابن جرير - بإسناده - عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر
قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض
مأرادوا ، فشكى ذلك إلى النبي - ﷺ - « كيف تجد قلبك » ؟
قال : مطمئنا بالإيمان . قال النبي ﷺ : « إن عادوا فعد » فكانت
رخصة في مثل هذه الحال .

وقد أبى بعض المسلمين أن يظهر الكفر بلسانهم مؤثرين الموت
على لفظه باللسان ، كذلك صنعت سمية أم عمار ، وهي تطعن بالحربة
في موضع العفة حتى تموت وكذلك صنع أبوه ياسر .

وكذلك صنع حبيب بن زيد الأنصاري لما قال مسيلمة الكذاب :
أشهد أن محمداً رسول الله ، فيقول : نعم فيقول : أتشهد أنى رسول
الله ؟ فيقول : لا أسمع ! فلم يزل يقطعه إربا إربا ، وهو ثابت على
ذلك .

وتذكر كتب السير والتاريخ أن عبد الله بن حذافة السهمي - أحد
الصحابية رضوان الله عليهم - أنه أسرته الروم ، فجاءوا به إلى ملكهم ،
فقال له : تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي ، فقال له :
لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب حتى أرجع عن دين
محمد - ﷺ - طرفة عين ما فعلت . قال : إذن أقتلك . قال : أنت
وما تريد ثم أمر به فصلب وقال لقناصته - بالرومية - أرموه قريبا من

(١) السابق ٣١٩ - ٣٢٠ .

يديه ، وهو يعرض عليه التنصر فأبى ، فقال : ارموه قريباً من رجليه ، وهو يعرض عليه مفارقة دينه فأبى عند ذلك أمرهم أن يكفوا عنه وطلب إليهم أن ينزلوه عن خشبة الصليب ثم دعا بقدر عظيمة فصب فيها الزيت ورفعت على النار حتى غَلَّتْ ثم دعا بأسيرين من أسارى المسلمين فأمر بأحدهما أن يلقي فيها فألقى ، فإذا لحمه يتفتت .

وإذا عظامه تبدو عارية .

ثم التفت إلى عبد الله بن حذافة ودعاه إلى النصرانية ، فكان أشد إباء لها من قبل .

فلما يس منه ، أمر به أن يلقي في القدر التي ألقى فيها صاحبه فلما ذهب به دمعت عيناه ، فقال رجال قيصر لملكهم : إنه قد بكى .

فظن أن قد جزع وقال :

ردوه إلى فلما مثل بين يديه عرض عليه النصرانية فأبأها . فقال : ويحك ، فما الذى أبكاك إذن ؟

قال : أبكاني أنى قلت فى نفسى : تلقى الآن فى هذه القدر ، فتذهب نفسك وقد كنت أشتهى أن يكون لى بعدد ما فى جسدى من شعر أنفس فتلقى كلها فى هذا القدر فى سبيل الله .

فقال الطاغية : هل لك أن تقبل رأسى وأخلى عنك ؟ فقال له عبد الله : وعن جميع أسارى المسلمين أيضاً ؟

قال : وعن جميع أسارى المسلمين أيضاً .

قال عبد الله :

فقلتُ في نفسي : عدو من أعداء الله ، أقبل رأسه فيخلى عنى
وعن أسارى المسلمين جميعاً ، لا ضير فى ذلك على . ثم دنا منه
وقبل رأسه ، فأمر ملك الروم أن يجمعوا له أسارى المسلمين وأن
يدفعوهم إليه ، فدفعوا له .

فلما قدم عبد الله بن حذافة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وأخبره خبره ، سر به الفاروق أعظم السرور ، ولما نظر إلى الأسرى
قال : حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبداً
بذلك ، ثم قام وقبل رأسه^(١) .

الشجاعة :

ومن الصفات اللازمة للداعية : « الشجاعة » حتى لا يهاب أحداً
فى الجهر بالحق ، ولا تأخذه فى نصرة الله لومة لائم .. ففى
حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : « بايعنا رسول الله
ﷺ على أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم »^(٢) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « إذا رأيت
أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُودعَ منهم »^(٣) .

(١) صور من حياة الصحابة ٥٢/١ - ٥٦ .

(٢) صور من حياة الصحابة ٥٢/١ - ٥٦ .

(٣) متفق عليه .

وروى ابن حبان فى صحيحه عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه
قال : « أوصانى خليلى بخصال من الخير أوصانى أن لا أخاف فى
الله لومة لائم وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرا » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله
ﷺ : « لا يحقرن أحدكم نفسه قالوا يا رسول الله وكيف يحقر أحدنا
نفسه ؟

قال يرى أن لله عليه مقالاً ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل
يوم القيامة ما منعك أن تقول فى كذا وكذا ؟ فيقول خشية الناس
فيقول : فإياى كنت أحق أن تخشى «^(١) .

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي : « والعجب العاجب أن الجند
المكلفين بحراسة الأمن قد يفقد بعضهم روحه وهو يطارد لصا ، أو
يصاب بعاهة مؤلمة وهو يؤدى واجبه .

ذاك فضلاً عن السهر المستديم والجهد الموصول ، أما جند الدعوة
من أئمة ووعاظ ومرشدين فكأنما أخذوا عهداً على الدهر لا يمسه
سوء .

فهم يسمنون والدين ينحف ، ويراحون والدين مكدود ويعيشون
متخاذلين على حين يتساند جيش الشيطان لبلوغ هدفه وإدراك أمله .

إذا لم يكن الداعية المسلم شجاعاً ، مطيقاً لأعباء رسالته سريعاً إلى
تلبية ندائها ، جريئاً على المبطلين مغواراً فى ساحاتهم فخير له أن

(١) رواه ابن ماجه ورجاله ثقات .

ينسحب من هذا المجال وألا يفضح الإسلام بتكلف ما لا يحسن من شئونه»^(١) .

والحق أن تاريخ الدعوة الإسلامية يضم بين جنباته صفحات مضيئة لأئمة أعلام ودعاة بررة ثبتوا على الحق ، وجاهرُوا به دون تهييب أو وجل .

وإليك أيها القارئ الكريم صورًا ومواقف لهؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

(أ) من مواقف « العز بن عبد السلام » أنه قال مرة لسلطان مصر « نجم الدين أيوب » وكان في مجلس حافل برجال الدولة : يا أيوب !! ما حجتك عند الله إذا قال لك غداً : ألم أبوي لك ملك مصر ثم تبيع الخمر ؟

فقال : هل جرى هذا ؟

فقال : نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمر وتستباح فيها المنكرات ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة !!

فقال : هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبي !!

فقال العز بن عبد السلام : أنت من الذين يقولون : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مُقتدون ﴾^(٢) ؟ فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة وإغلاقها .

(١) مع الله ٢١١ وما بعلمنا .

(٢) سورة الزخرف : آية ٢٣ .

« وحكى - أيضاً - عن « العز بن عبد السلام » أنه أفتى مرة بشيء ثم ظهر له أنه أخطأ ، فنأدى فى مصر على نفسه من أفتى له « ابن عبد السلام » بكذا فلا يعمل به ، فإنه أخطأ فيه .

وإرسال المفتى المنادين يشهرون بفتواه على هذا النحو خلق عجيب ، ودلالة على أمانة فى العلم لا نظير لها .

ولعلها استجابة لكلمة « عمر بن الخطاب » إلى « أبى موسى الأشعري » حيث أرسل له كتاباً يقول فيه :

« ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق لا يظله شيء ، واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل » .

(ب) كان « سلمة بن دينار » المكنى بأبى حازم يدخل على معاوية فيقول : السلام عليك أيها الأجير ، فإذا حاولوا أن يقولوا لأبى حازم قل : السلام عليك أيها الأمير ، أبى عليهم ذلك ، ثم التفت إلى معاوية فقال له : « إنما أنت أجير هذه الأمة استأجرك ربك لرعايتها » !!

(ج) قام أعرابى بين يدى « سليمان بن عبد الملك » فقال : إني مكلمك - يا أمير المؤمنين - بكلام فيه بعض الغلظة فاحتمله - إن كرهته - فإن وراءه ما تحبه إن قبلته .

قال : هات يا أعرابى .

قال : فإني سأطلق لساني بما خرست عنه الألسن من عظتك تأدية لحق الله وحق إمامتك .

إنه قد اكتنفتك رجال أساءوا لأنفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم ،
ورضاك بسخط ربهم !!

خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة ، سلم
للدنيا !! فلا تأمنهم على ما ائتمنتك الله عليه . فإنهم لن يألوا الأمانة
تضيعةً ، والأمة عسفاً وخسفاً . وأنت مسئول عما اجترحوه ، وليسوا
مسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك . فأعظم
الناس غيبنا من باع آخرته بدنيا غيره .

قال : سليمان :

أما أنت يا أعرابي ، فقد سللت لسانك ، وهو أقطع سيفيك .
فقال : أجل لك يا أمير المؤمنين - لا عليك .

(د) وروى زياد عن مالك بن أنس قال : بعث « أبو جعفر
المنصور » إلى « والي بن طاووس » أحد أفاضل العلماء في عصره
فدخلنا عليه وبين يديه أنطاع قد بسطت (جلود توضع تحت المحكوم
عليهم بالقتل) وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الأعناق ، فأومأ
إلينا أن اجلسا فجلسنا ، فأطرق عنا قليلاً ، ثم رفع رأسه والتفت إلى
ابن طاووس ، فقال له : حدثني عن أبيك .

قال : نعم ، سمعت أبي يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن أشد
الناس عذاباً يوم القيامة ، رجل أشركه الله في حكمه ، فأدخل عليه
الجور في عدله » .

قال مالك : فضممت ثيابي مخافة أن يملأني دمه ، فأمسك ساعة ،
ثم التفت إليه أبو جعفر فقال : عظني يا ابن طاووس ، قال : نعم

يا أمير المؤمنين !! يقول الله تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذى الأوتاد ، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك بالمرصاد ﴾ (١) .

قال مالك : فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأ ثيابي من دمه !!

فأمسك ساعة ، ثم قال : يا ابن طاووس ، ناولنى هذه الدواة فأمسك عنه ، فقال :

ما يمنعك أن تناولنيها ؟

قال ابن طاووس : أخشى أن تكتب بها معصية ، فأكون شريكك فيها !!

فلما سمع ذلك قال أبو جعفر : قوما عني !!

قال ابن طاووس : ذلك ما كنا نبغى منذ اليوم !!

قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاووس فضله .

والحق أن الشجاعة فى قول الحق تتطلب نفساً عفت عما فى أيدي الناس ، ورضيت بما قسم الله لها من رزق وفضل .

وما أحسن قول القائل :

(١) سورة الفجر : الآيات من ٦ - ١٤ .

أمت مطامعي وأرحت نفسي فإن النفس ما طمعت تهون
وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله
أوصني وأوجز فقال : « عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى وإياك
والطمع فإنه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما يعتذر
منه^(١) .

وقال أبو سعيد الحسن البصرى رحمه الله : « لا يزال الرجل كريماً
على الناس حتى يطمع في دينارهم ، فإذا فعل ذلك استخفوا به ، وكرهوا
حديثه وأبغضوه » .

وروى أن أعرابياً سأل أهل البصرة :

من سيدكم ؟ قالوا : الحسن . قال : يم سادكم ؟ قالوا : احتاج الناس
إلى علمه واستغنى هو عن دينارهم ، فقال : ما أحسن هذا !

وما أحسن قول علي بن عبد العزيز القاضى رحمه الله تعالى :
يقولون لى فيك انقباض وانما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجماً
أرى الناس من دانا هم هان عندهم ومن أكرمه عزة النفس أكرماً
ولم أقض حق العلم إن كان كلما بدا طمع صيرته لى سلماً
وما كل برق لاح لى يستغنى^(٢) ولا كل من لاقيت أرضاه منعماً
إذا قيل هذا منهل^(٣)، قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحمل الظما

(١) رواه العسكرى والحاكم ، وغيرهما ، وصحح إسناده .

(٢) يستغنى : استغزه واستخفه وأخرجه من داره وأزعهجه .

(٣) منهل : مورد وهو عين ماء ترده الإبل فى المرعى .

أنهئها^(١) عن بعض ما لا يشينها
 ولم أتبدل^(٢) في خدمة العلم مهجتي^(٣)
 لأخضع من لا قيت لكن لأخدم
 إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
 ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
 ولو عظموه في النفوس لعظما
 ولكن أهانوه فهان ودينسوا^(٤)
 محياه بالأطماع حتى تجهما^(٥)

وهناك خلق آخر تحتاج إليه الشجاعة ، وهو اليقين في وعد الله - سبحانه - وأنه هو الذي قسم الأرزاق ، وحدد الآجال وجعل لها ميقاتاً معلوماً ، وأجلاً لا يتقدم ولا يتأخر ، وعندما يوقن المؤمن بذلك لا يبالي أن يفترق الحق بعمره مفضلاً أن يقتل شهيداً على أن يذفن الحق ولا يجد من ينصفه ويشرفه ويعلى رايته .

ولذلك قال رسول الله ﷺ : « أفضل كلمة حق عند سلطان جائر » وقال - أيضاً - « سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » .

حكى أن « عبد الملك بن مروان » أتوه برجل من الخوارج فأراد قتله ، فأدخل على عبد الملك ابن له صغير يكي ، فقال الخارجي :

-
- (١) أنهئها : نهته عن الأمر فنهته كفه وزجره فكف .
 (٢) ولم أتبدل : الابتدال ضد الصيانة ، والبذلة بالكسر ما لا يسان من الثياب .
 (٣) مهجتي : المهجة الروح .
 (٤) دينسوه : الدنس محركة الوسخ دنس الثوب والعرض والخلق .
 (٥) تجهما : رجل جهم الوجه كالجحش الوجه .

دعه يا عبد الملك ، فإن ذلك أرحب لشدقه ، وأصح لدماعه ،
وأذهب لصوته ، وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذا حفزته طاعة الله
فاستدعى عبرتها .

فأعجب « عبد الملك » بقوله وقال له متعجباً :

أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ فقال : ما ينبغي أن يشغل المؤمن
عن قول الحق شيء فأمر عبد الملك بحسبه وصفح عن قتله^(١) !!

العمل بما يقول :

والمقصود به أن يكون الداعية نموذجاً طيباً لما يدعو إليه ، ومثلاً
حياً لكل خلق كريم .. حتى يفيد وعظه ، ويشمر إرشاده .

يقول الله ليحذر المؤمنون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ
كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^(٢) .

كبير مقْتاً لأنه صد عن سبيل الله .. وأى جريمة أكبر من الصد
عن سبيل الله ؟

إن الناس قد يتقبلون من الشخص العادي أن يكذب أو يغش أو يلتوى
في سلوكه . أو يقع فريسة للشهوات .

أما أن يقع ذلك ممن ينصب نفسه قدوة للناس أو ممن يدعو الناس إلى
التمسك بالفضيلة والبعد عن الرذيلة .. فهذا الذي لا يستسيغه الناس
من جهة ، والذي يصددهم عن القيم الرفيعة من جهة أخرى ، لأنه ييئسهم

(١) راجع القصة في كتاب « مع الله » للشيخ الغزالي .

(٢) سورة الصف: الآيات ٢ و ٣ .

من قيام تلك القيم فى عالم الواقع ويشعرهم أنها مجرد شعارات معلقة فى الفضاء ويهون لهم من جهة أخرى ارتكاب الرذيلة بكل أنواعها ، لأنه إذا كان دعاة الفضيلة يفعلون ذلك ، فما بالهم ، هم الذين لم يزعموا لأنفسهم ذات يوم أنهم من أصحاب الفضيلة ؟ !

لذلك كبير مقتناً عند الله أن يقول المؤمنون بألسنتهم ما يخالفونه فى سلوكهم الواقعى^(١) .

وعن أسامة بن زيد بن حارثة - رضى الله عنهما - قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق^(٢) أكتاب^(٣) بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية^(٤) .

وعن أنس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أسرى بى رجلاً تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون^(٥) .

ورحم الله القائل :

(١) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ٥٤ .

(٢) تندلق : تخرج .

(٣) الأكتاب : الأعماء واحدهما كِتاب (بكسر فسكون) .

(٤) متفق عليه .

(٥) رواه ابن حبان فى صحيحه .

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا إذ عبت منهم أمورًا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدًا . والموبيقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناسًا راغبين بها وأنت أكثر منهم رغبة فيها
وقال بعض السلف : مثل الذى يعلم الناس الخير ولا يعمل به
كالسراج يضىء للناس ويحرق نفسه .

« ومن أعجب النقائص فى دين الله ودنيا الناس أن هناك نفرًا ممن
يتسمون بالدعاة يحسبون أن ما يقولون لغيرهم من علم إنما هو امر
يخص المخاطبين فحسب ، وقد يعنى الناس أجمعين إلا إياهم .

إنهم نقلة فحسب ، إنهم « أشرطة مسجلة » أو « أسطوانات معبأة »
تدور بعض الوقت ليستمع الناس إليها وهى تهرف بما لا تعرف ، ثم
تودع أماكنها لتدار مرة أخرى إذا احتيج إليها .

إن هذا الجماد الذى أنطقه الذكاء الإنسانى هو صورة للجماد الذى
أنطقه الاحتراف ، أو للإنسان الكذوب الذى ينصح الجمهور بأمر
هو أبعد ما يكون عنها ، وينفرهم من أشياء هو أقرب ما يكون للوقوع
فيها .

والدعاة الذين يحيون على ذلك النحو المتناقض هم آفة الإيمان ،
وسقام الحياة .

وهم الثقل الذى يهوى بالمثل العليا ويمرغها فى الأوحال والغضب
الإلهى لا ينصب بعنف وقساوة على مرتكبي الخطايا بجهالة ، إنه
ينصب على أولئك الذين يقترفون الدنيا وهم يعلمون ، أو الذين
يقترفونها وهم ينفرون منها الآخرين .

وذلك سر تشبيهم تارة بأنهم حمير ، وطوراً بأنهم كلاب .. ولم يوصفون بهذه الألقاب الشائنة ؟ ذلك أنهم تكذيب عملي للكلام الذى يلقون ، والمبدأ الذى إليه يتعمون .

إنهم بمسلكهم دليل على أن الشهوة تغلب العقل ، والهوى يهزم الرشد .

أى أنهم عذر قائم بين يدي كل مقصر ، وإياس من الصلاح أمام بغاته من السامعين والمطلعين .

وكثير من هؤلاء المتتسين إلى الدين بألسنتهم ، الخارجين عليه بأعمالهم ، من يلون الدين برغبته ، ويمزج تعاليمه بشهوته ، فهو - أولاً - يتعرف ما يشتهى ، فإذا حدده ألبسه ثوب الدين .

وربما أقنع نفسه بأن شهوته هذه حق محض ، ثم سعى إلى بلوغها وكأنما هو يؤدى عبادة ولا يشع نهمه !!

وقد يقاتل دونها وهو يزعم أنه يقاتل عن دين ، إن هذا الفساد المعقد عند نفر من الدعاة لعنة ماحقة ، وذلك سر تناولهم بأقسى عبارة :

﴿ وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهَا بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثُ ، ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلَمُونَ ﴾^(١) .

(١) الأعراف من ١٧٥ - ١٧٧ وراجع : مع الله للشيخ الغزالي ١٩٢ .

التزود بالتقوى ومجاهدة النفس :

التقوى - كما عرفها العلماء - : (أن لا يراك الله حيث نهاك ، وأن لا يفقدك حيث أمرك) .

أو هي - كما قال البعض : (اتقاء عذاب الله بصالح العمل ، والخشية منه فى السرِّ والعلن) .

ومن هنا كان اهتمام الصحابة والسلف الصالح بالتقوى يجتهدون لها ويسألون عنها ، فقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل « أبى بن كعب » عن التقوى ، فقال له : أما سلكت طريقاً ذا شوكة ؟ قال بلى ! قال : فما عملت ؟ قال : شمرت واجتهدت ، قال : فذلك التقوى^(١) .

ويقول الأستاذ سيد قطب تعليقاً على المعنى الذى أورده « أبى بن كعب فى إجابته لعمر رضى الله عنه : « التقوى حساسية فى الضمير وشفافية فى الشعور ، وخشية مستمرة وحذر دائم وتوقى لأشواك الطريق .. طريق الحياة .. الذى تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات وأشواك المطامع ، وأشواك المخاوف ، والهواجس وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك رجاء .. والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضرراً ، وعشرات غيرها من الأشواك »^(٢) .

ومما يعين على التقوى أن يكون الداعية دائم الحاسبة لنفسه على ما فرط منها عملاً بقوله - سبحانه - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

(١) راجع الظلال ٤٠/١ .

(٢) الموضوع السابق .

ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله إن الله خبير
بما تعملون ﴿١﴾ .

وهذه إشارة إلى المحاسبة بعد مضى العمل ، ولذلك قال عمر رضى
الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . فينبغى أن يكون للأخ
الداعية ساعة يراجع فيها نفسه فى آخر النهار ، ويحاسبها على جميع
ما كان منها .

ومعنى المحاسبة أن ينظر فى رأس المال ، والريح ، وفى الخسران
لتبين له الزيادة من النقصان ، فرأس المال فى دينه الفرائض ، وريحه
النوافل والفضائل وخسرانه المعاصى .

فحين ينظر المؤمن فى رأس المال ، ويوازن بين الريح والخسارة
ويتوب عما وقع فيه من أخطاء . ويجتهد أكثر فى عمل الطاعات
يكون ممن حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا ، لأن الإنسان لو رمى بكل
معصية يفعلها حجراً فى داره لامتألت داره فى مدة يسيرة ولكنه
يتساهل فى حفظ المعاصى وهى مثبتة (أحصاه الله ونسوه) (١) .

ولا بأس على الداعية أن يجعل من نفسه قاضياً على نفسه فيعاقبها
إن رأى منها تقصيراً فى جنب الله ، أو إهمالاً وإساءة ، ففى ذلك زجر
لها عن المخالفة ، وحمل على التقوى وأخذ بها نحو حياة كريمة فاضلة .
وقد كان السلف الصالح يعاقبون أنفسهم إذا رأوا منها تقصيراً ،
من ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه خرج إلى

(١) سورة الحشر : الآية ١٨ .

(٢) القلتى : مختصر منهاج القاصدين ٣٩٣ و ٣٩٤ (بنصرف وتلخيص) .

حائط له (أى بستان) ثم رجع وقد صلى الناس العصر ، فقال :
« إنما خرجت إلى حائطي ، ورجعت وقد صلى الناس العصر ، حائطي
صدقة على المساكين »..

قال الليث : إنما فاتته فى الجماعة .

وروى عنه أيضًا : أنه شغله أمر عن المغرب حتى طلع نجمان ،
فلما صلاها أعتق رقبتين .

وحكى أن تميمًا الدارىء رضى الله عنه نام ليلة لم يقم يتهجدها
حتى أصبح فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى صنع .

ومرّ حسان بن سنان بغرفة فقال : متى بنيت هذه ؟ ثم أقبل على
نفسه فقال : تسألين عما لا يعنيك لأعاقبك بصوم سنة ، فصامها !!
عقوبة على تدخله فيما لا يعنيه .

وينبغى أن يكون عقاب النفس بما هو مباح كما يعاقب أهله وولده ،
وليحذر من العقوبات التى لا تحل ، فإنه يحرم فعله ، مثال ذلك : أن
يغتسل من الجنابة فى فلاة فى يوم شديد البرد ، أو يعذب عضوًا من
أعضائه بالنار ، أو يمتنع عن الطعام والشراب مدة تؤدى إلى الهلاك
فإن هذا وأمثاله يحرم فى دين الله ويدخل تحت قوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة ﴾^(١) . وقوله تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله
كان بكم رحيمًا »^(٢) .

(١) سورة البقرة آية ١٩٥ .

(٢) سورة النساء ٢٩ .

ومما يعين على تقوى الله عز وجل (مجاهدة النفس) على أداء النوافل والطاعات ، فإن رآها تتواني بحكم الكسل فى شىء من الفضائل ، أو وِرد من الأوراد ، أدبها بإلزامها أكثر مما تفعل حتى تصبح الطاعات فى المستقبل عادة من عاداته ، وخلقاً أصيلاً من أخلاقه .

وهذه المجاهدة فى الإقبال على الله بالنوافل والطاعات قد أمر بها الرسول ﷺ .

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته ولكن استعاذنى لأعيذنه » .

وروى مسلم عن أبى فراس .. قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتته بوضوئه (أى الماء) وحاجته فقال « سلنى » فقلت أسألك مرافقتك فى الجنة ، فقال « أو غير ذلك » ؟ قلت : هو ذاك ، قال : « فأعنى على نفسك بكثرة السجود » .

وروى الترمذى عن أبى صفوان .. قال : قال رسول الله ﷺ « خير الناس من طال عمره وحسن عمله » .

وعلى الذين يجاهدون أنفسهم على عبادة الله ، عليهم أن يلحظوا فى عملهم هذا أمرين مهمين :

الأول : أن لا تكون عبادة النافلة على حساب الحقوق الأخرى ، كأن يقوم مثلاً بأداء حق الله فى النوافل ، ويهمل حق العيال فى

النفقة عملاً بقول النبي ﷺ « إن الله عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه » (رواه البخارى) .

الثانى : أن لا يكلف نفسه فى النوافل فوق طاقتها ، لقوله ﷺ - فيما رواه الشيخان - « عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا » .

ومما يعين الداعية على التزود بالتقوى : دوام المراقبة له - سبحانه - ويكون ذلك باستحضار عظمة الله - تعالى - فى كل الأوقات والأحوال ومراقبته جل جلاله فى السر والعلن ، واستحضار الموت وما بعده ، واستعراض الآخرة وأحوالها .

- قال عبدالله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فعرسنا فى بعض الطرق فأنحدر بنا راعٍ من الجبل ، فقال له : ياراعى ، يعنى شاة من هذا الغنم . فقال : إني مملوك .

فقال له - اختباراً - قل لسيدك أكلها الذئب .

فقال الراعى : فأين الله ؟

فبكى عمر رضى الله عنه ، ثم غدا مع المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال : أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك فى الآخرة!!

- ومن ذلك قصة الأم مع بنتها : الأم تريد أن تخلط اللبن بالماء غشاً له ، وطمعاً فى الربح ، والبنت تذكرها بالله وإنذار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

الأم تقول: أين نحن من أمير المؤمنين؟ إنه لا يرانا !!
والبنت تقول: إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فرب أمير المؤمنين
يرانا .

- وعلى الداعية أن يكثّر من تلاوة القرآن الكريم مع التدبر الخاشع
فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي أمامة عنه عليه السلام: « اقرءوا القرآن
فإنه يأتي يوم القيامة شفيحاً لأصحابه » .

وقال عليه السلام: « الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به (أى حاذق) مع
السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعجب فيه وهو عليه شاق
له أجران .

وقال عليه السلام: « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر
أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألفٌ حرف ، ولآمٌ حرف ، وميمٌ
حرف » .

- ومما يعين الداعية على طاعة الله - سبحانه - مصاحبة الأخيار
من الناس ، لأن في صحبتهم فوائد جمة تعود عليه بالخير في الدين
والدنيا ولذلك يقول الرسول الكريم عليه السلام: « لا تصاحب إلا مؤمناً
ولا يأكل طعامك إلا تقي » .

وقال بعض السلف: « اصحب من ينهضك حاله ، ويدلك على
الله مقاله » وقد بين عليه السلام أن المرء مع من أحب ولو كان المحبوب
دونه تقي وعلماً ومنزلة .. فقد روى الشيخان عن أبي موسى
الأشعري رضى الله عنه أن النبي عليه السلام قال: « المرء مع من أحب »

وفى رواية: قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال
ﷺ: « المرء مع من أحب » .

ورحم الله من قال :

تمسك إن ظفرت بذيل حرّ فإن الحرّ في الدنيا قليل
وليحذر الداعية من قرناء السوء الذين لا يعينون على طاعة
ولا يشجعون على خير، لأن في الجلوس مع هؤلاء فضلاً عن صحبتهم
ومعاشرتهم بلاءٌ وشرّاً ، ونقصاً في الدين وهلاكاً في الدنيا .

قال ﷺ: « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال » .

ورحم الله من قال :

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
- ومما يحقق التقوى للداعية : مداومته على ذكر الله عز وجل في
كل الأحوال والأوقات .

وقد أمرنا الله - سبحانه - بالذكر الكثير في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (١) .

وقال ﷺ: « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر الله مثل الخي
والميت » (٢) . وفى الحديث القدسي : « أنا عند حسن ظن عبدى
بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ،
وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم ، وإن تقرب منى شبراً

(١) الأحزاب ٤١ و٤٢ .

(٢) رواه البخارى .

تقربت إليه ذراعًا ، وإن تقرب إلى ذراعًا تقربت منه باعًا ، وإن أتاني يمشى أتيته هرولاً»^(١) .

والذكر معناه : استحضار عظمة الله سبحانه في جميع الأحوال .. سواء أكان هذا الاستحضار ذهنيًا ، أم قلبيًا ، أم لسانيًا أم فعليًا ، ويشمل الفعل : التلاوة والعبادة ، والعلم .

- وما يغذى الروح ويرقق القلب ، بكاء المؤمن في خلواته من خشية الله : ولا شك أن الداعية حين يخلو إلى ربه ويستعرض بينه وبين نفسه ذنوبه السابقة واللاحقة ويتذكر جهنم وأحوالها والآخرة وأهوالها .. ويمرّ بخاطره على الموت وما بعده ويوازن بين عمله وعمل السابقين الأولين .. فإن قلبه يخفق ونفسه ترتجف ، وعينه تدمع .. فيقبل بعد هذه التذكرة إلى ربه تائبًا منيبًا مستغفرًا ذاكراً حافظًا لحدوده ، متبعًا لأوامره ، منتهيًا عن نواهيه .

واعلم - أخى الداعية - أن البكاء يكون نتيجة الخوف ، والخوف من ماذا ؟

الخوف من الموت قبل التوبة ، الخوف من الاستدراج بالنعم الذى يؤدي إلى سوء الخاتمة ، الخوف من سكرات الموت ونزع الروح ، الخوف من سؤال الملكين وعذاب القبر ، الخوف من الحساب والعبور على الصراط ، الخوف من النار وأهوالها ، الخوف من حرمان الجنة ونعيمها ، وأعظم من ذلك : أن يخاف الرياء حين يتعبد ، والعُجب

(١) رواه الشيخان .

حين يستغنى ، والنفاق حين يخالط ، والكبر حين يتزين ، والغرور حين تأتيه الدنيا إلى غير ذلك من أمراض القلوب ، وآفات النفوس (١) .

وأخوف الناس أعرفهم بنفسه وبربه ، ولذلك قال ﷺ كما ثبت في الصحيح : « أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » وقال تعالى في سورة فاطر : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢) .

واليك - أخی الداعية - فضل البكاء من خشية الله :

(أ) إنهم في ظل الله يوم القيامة : روى الشيخان : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . ومن جعلتهم - رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

(ب) إنهم في مأمن من عذاب الله : روى الترمذي عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله » .

ولو نقبنا في سيرة النبي ﷺ وفي حياة الصحابة والسلف .. لرأينا الصور الصادقة ، والنماذج الصالحة - في إخبارهم لله ، وبكائهم من خشيته ، واستشعارهم بجبروته وعظمته .. وإليك بعض الصور والنماذج :

روى الشيخان عن ابن مسعود رضی الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « أقرأ على القرآن » قلت : يا رسول الله أقرأ عليك القرآن وعليك

(١) عبد الله علوان : روحانية الداعية ٧٥ .

(٢) سورة فاطر آية ٢٨ .

أنزل ؟ قال : « إني أحب أن أسمع من غيري » فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾^(١) .

قال : « حسبك الآن » (أى يكفيك) فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان !

٢ - وروى مسلم عن أنس قال : قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما بعد وفاة الرسول ﷺ : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهيا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ؟ قالت : إني أعلم ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ولكنى أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء ، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها !!

٣ - روى البخارى .. أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أتى بطعام وكان صائماً فقال : قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو خير منى ، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطى بها رأسه بدت رجلاه ، وإن غطى بها رجلاه بدا رأسه ، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ، ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام !!

٤ - وروى البيهقى والأصبهاني عن أنس قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾^(٢) فقال : « أوقد عليها

(١) سورة النساء آية ٤١ .

(٢) سورة التحريم آية ٦ .

ألف عام حتى احمرت ، وألف عام حتى ابيضت ، وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ لهيها » قال : وبين يدي رسول الله ﷺ رجل أسود فهتف بالبكاء فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال : من هذا الباكي بين يديك ؟ قال : رجل من الحبشة وأثنى عليه معروفًا ، قال : فإن الله عز وجل يقول : « وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق العرش لا تبكي عين في الدنيا من مخافتى إلا أكثرت ضحكها في الجنة » .

- ومما يعين على تحصيل التقوى وتقوية الصلة بالله - سبحانه - حرص الداعية على التزود من عبادة النافلة على الدوام .. فقد روى الشيخان عنه ﷺ ومن تقرب إلى شبرًا تقربت إليه ذراعًا ، ومن تقرب إلى ذراعًا تقربت إليه باعًا وإذا أقبل إلى يمشى أقبلت إليه أهول .
وروى البخارى عنه ﷺ : « وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » .

وروى مسلم عنه ﷺ : « ما من عبد مسلم يصلى لله تعالى في كل يوم اثنتى عشرة ركعة تطوعًا من غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة » .

ويقصد بالنافلة عبادة التطوع من غير الفريضة ومن أمثلتها ما يلي :

١ - صلاة الضحى :

وأقلها ركعتان ، وأوسطها أربع ، وأكثرها ثمان ويبدأ وقتها بعد طلوع الشمس بنصف ساعة إلى ما قبيل الظهر بساعة .

٢ - ركعتا تحية المسجد :

روى مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين » .

٣ - ركعتا سنة الوضوء :

روى البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لبلال رضى الله عنه : « حدثنى بأرجى عمل عملته فى الإسلام ، فإنى سمعت دفّ نعليك (أى صوته) بين يدى فى الجنة ، فقال : « ما عملت عملاً أرجى عندى من أنى لم أتطهر طهوراً فى ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لى أن أصلى » .

نافلة الصوم :

روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : « ما من عبد يصوم يوماً فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » .

وصوم النفل أنواع :

١ - صيام يوم عرفة :

روى مسلم عن أبى قتادة أن النبى ﷺ قال : « صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده » .

٢ - صيام يوم عاشوراء وتاسوعاء :

وهى التاسع والعاشر من شهر محرم ، لما روى مسلم عن قتادة : « صوم يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده » .

وروى الإمام أحمد عنه عليه السلام « صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود ،
وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده » .

وبناء على هذه الرواية ، يصح للصائم أن يضم إلى عاشوراء اليوم
التاسع ، أو اليوم الحادى عشر مخالفة لليهود .

٣ - صيام ست من شوال :

روى مسلم عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن عليه السلام قال :
« من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر » .

٤ - صيام الاثنين والخميس :

روى مسلم أنه عليه السلام كان يصومهما ، وسئل عن ذلك فقال :
« تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملى وأنا
صائم » .

أَكْبَدُ الْكَأَمِيَّةَ وَحَسَنَ خُلُقَهُ

جاء فى صحيح البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها
قالت لرسول الله عليه السلام : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد
عليك من يوم أحد ؟

فقال : لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم
يوم العقبة^(١) (يوم الطائف) إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن
عبد كلال ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على

(١) مكان مخصوص بالطائف ، حيث حدثت الواقعة المذكورة .

وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب^(١) ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وماردوا به عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .

فناداني ملك الجبال ، وقال قد بعثني ربك لتأمرني بأمرك فما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيين ، فقال النبي ﷺ : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً »^(٢) .

ويصفح رسول الله الصفح الجميل ويدعو ربه : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك لك العتيبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك^(٣) .

وصدق صاحب الهمزية :

جهلتُ قومه عليه فأغضى وأخو الحلم دأبه الإغضاء
وسع العالمين علماً وحلماً فهو بحرٌ لم تُعيه الاعياء

(١) مكان على مسافة يوم وليلة من مكة ، ويقال له قرن المنازل وهو ميقات أهل

نجد .

(٢) أخرجه البخاري ٢١٢/٦ كتاب بدء الخلق .

(٣) السيرة لابن هشام ٤٢٠/١ .

« روى أبو أمامة رضى الله عنه أن غلاماً شاباً أتى النبي ﷺ فقال :

يا نبي الله أتأذن لي في الزنا ؟

فصاح الناس به .

فقال النبي ﷺ : قربه أدن .

فدنا حتى جلس بين يديه .

فقال النبي ﷺ : أتجبه لأمك ؟

فقال : لا ، جعلني الله فداك .

قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، أتجبه لابنتك ؟

قال : لا ، جعلني الله فداك .

قال : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، أتجبه لأختك ؟

حتى ذكر العمّة والخالة وهو يقول في كل واحدة :

لا ، جعلني الله فداك .

وهو ﷺ يقول : كذلك الناس لا يحبونه ..

فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ،

واغفر ذنبه ، وحصن فرجه .

فلم يكن شيء أبغض إليه منه^(١) - أي من الزنى - .

« وبال أعرابي في المسجد بحضرة النبي ﷺ ، فهم به الصحابة

رضى الله عنهم .

(١) رواه أحمد .

فقال ﷺ : لا تزرموه - أى لا تقطعوا عليه البول - .
ثم قال له : إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول
والخلاء وفى رواية أنه قال : قربوا ولا تنفروا^(١) .
وفى رواية أنه قال :

دعوه وأريقوا على بوله سجلاً - أى دلوا - من ماء فإنما بعثتم
ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين .

* وعن معاوية بن الحكم السلمي رضى الله عنه قال :
بينما أصلى مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت له :
يرحمك الله .

فرماني القوم بأبصارهم - أى نظروا إلى منكبين - .

فقلت : واثكل أماه ! ما شأنكم تنظرون إلىّ ؟

فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم !

فلما رأيتهم يصمتوننى سكتُ .

فلما صلى رسول الله ﷺ دعاني ، فبأبى هو وأمى ، ما رأيت معلما
قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما نهزنى ولا ضربنى ،
ولا شتمنى ، لكن قال :

« إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو
التسبيح والتكبير وقراءة القرآن »^(٢) .

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

- وجاء النبي ﷺ أعرابي يوماً يطلب منه شيئاً - أى من المال - فأعطاه ﷺ ، ثم قال له : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابي : لا ، ولا أحملت - أى لم يعجبه ما أعطاه - فغضب المسلمون ، وقاموا إليه . فأشار إليهم النبي ﷺ : أن كفوا .

ثم قام ودخل منزله ، وأرسل إلى الأعرابي ، وزاده شيئاً ثم قال : أحسنت إليك ؟

قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً .

فقال له النبي ﷺ : إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي ، حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك .

قال : نعم .

فلما كان الغد ، أو العشي ، جاء الأعرابي ، فقال النبي ﷺ : إن هذا الأعرابي قال ما قال ، فزدناه ، فزعم أنه رضى - أكذلك ؟

فقال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً .

فقال ﷺ : إن مثلي ومثل هذا الأعرابي ، كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه ، فأتبعها الناس ، فلم يزيدوها إلا نفوراً فناداهم صاحب الناقة : خلوا بيني وبين ناقتي ، فإنى أرفق بها وأعلم .

فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هوناً هوناً، حتى جاءت واستناخت، وشد عليها رحلها، واستوى عليها . وإنى لو ترككم حيث قال الرجل ما قال ، فقتلتموه دخل النار^(١) .

(١) رواه البزار .

• وقال محمد بن زكريا الغلابي : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة ، وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله ، وإذا في طريقه غلام من قريش سكران ، وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت ، فاجتمع الناس يضربونه .

فنظر إليه ابن عائشة ، فعرفه ، فقال للناس : تنحوا عن ابن أخي .

ثم قال : إلى يا ابن أخي .

فاستحي الغلام ، فجاء إليه فضمه إلى نفسه ، ثم قال له : امض معي . فمضى معه حتى صار إلى منزله ، فأدخله الدار ، وقال لبعض غلمانه : بيته عندك ، فإذا فاق من سكره ، فأعلمه بما كان منه ، ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به .

فلما أفاق ، ذكر له ما جرى ، فاستحيا منه ويكى ، وهم بالانصراف .

فقال للغلام : قد أمر الشيخ أن تأتبه .

فأدخله عليه فقال له : أما استحييت لنفسك ؟ أما استحييت لشرفك ؟ فاتق الله وانزع عما أنت فيه فبكى الغلام منكساً رأسه ، ثم رفع رأسه وقال :

قد عاهدت الله تعالى عهداً يسألني عنه يوم القيامة ، أني لا أعود لشرب الخمر ، ولا لشيء مما كنت فيه ، وأنا تائب .

فقبل الشيخ رأس الغلام ، وقال : أحسنت يا بنى .
فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ، ويكتب عنه الحديث ، وكان ذلك
ببركة رفقته به .

ثم قال الشيخ : إن الناس يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر ،
ويكون معروفهم منكرًا فعليكم بالرفق فى جميع أموركم تنالون به
ما تطلبون^(١) .

• وعن الفتح بن شخرف قال : تعلق رجل بامرأة ، وتعرض لها ،
ويده سكين ، لا يدنو منه أحد إلا طعنه بها ، وكان الرجل شديد
البدن .

فبينما الناس كذلك ، والمرأة تصيح فى يده ، إذ مر بِشْر بن الحارث
رحمه الله تعالى ، فدنا منه ، وحك كتفه بكتف الرجل ، فوقع الرجل
على الأرض ، ومشى بِشْر .

فدنا الناس من الرجل ، وهو يترشح عرقًا كثيرًا ، ومضت المرأة
لخالها .

فسألوه : ما حالك ؟

فقال : ما أدرى ، ولكنى مسنى شيخ وقال لى : « إن الله عز وجل
ناظر إليك وإلى ما تعمل » .

فضعفت لقوله قدامى ، وهبته هيبة شديدة ، ولا أدرى من ذلك
الرجل ؟

(١) أحمد عز الدين البياتونى : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ص ٥٩ .

فقالوا له : هو بشرٌ بن الحارث .

فقال : واسوءتاه ! كيف ينظر إلى بعد اليوم ؟

وحَمَّ الرجل من يومه ، ومات بعد سبعة أيام^(١) .

- ودخل رجل على بعض أمراء المؤمنين ، فوعظه وأغلظ عليه في القول .

فقال له : يا هذا ، إن الله تعالى أرسل من هو خير منك ، إلى من هو شر مني ، وقال :

﴿ فقولوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى ﴾^(٢) .

* أخرج ابن عبد الحكم في سيرة « عمر بن عبد العزيز » أن عمر بن عبد العزيز كان جالساً مرة مع بعض أصحابه ، فغمَّ على الحاضرين السراج فقام عمر وأصلحه بنفسه فقال له أحد الجالسين : لو نحن كفييناك المؤنة يا أمير المؤمنين ؟

فقال عمر قولته الخالدة - قمت وأنا عمر ، ورجعتُ وأنا عمر !!
وفي مجال الحلم :

جاء في أسباب النزول للسيوطي : أن قريئاً لأبي بكر رضى الله عنه اسمه « مسطح » كان يعيش على إحسان أبي بكر وكفالاته ، لم يتورع عن الخوض في عرض عائشة رضى الله عنها لما أشاع المناقون عليها ما أشاعوا في حادثة الإفك ، وكان مسطح قد نسى أو تناسى

(١) السابق ٦١ .

(٢) سورة طه الآية ٤٤ .

حق الإسلام ، وحق الإحسان ، وحق القرابة .. مما أثار حفيظة أبي بكر ودفعه أن يحلف أن لا يصله ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلَى الْقَرَبِيِّ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تَجْبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

فغفا عنه أبو بكر رضى الله عنه وصفح ، وعاد إلى عطائه الأول قائلاً أحب أن يغفر الله لى .

رغم الإساءة البالغة التى وجهها إليه مسطح !!

« وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما قدم « عُيَيْنَةُ بن حصن » نزل على ابن أخيه « الحرّ بن قيس » وكان من النفر الذين يدنيههم عمر رضى الله عنه إذ كان من قراء أصحاب مجلس أمير المؤمنين ومشاروته .

فقال عُيَيْنَةُ لابن أخيه الحرّ : استأذن لى على أمير المؤمنين فاستأذن له ، فلما دخل قال : هيه يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل (أى ما نستحقه من العطاء) ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر ، حتى همّ أن يوقع به .

فقال الحرّ بن قيس : يا أمير المؤمنين ، إن الله يقول : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ (٢) وإن هذا من الجاهلين ،

(١) سورة النور الآية ٢٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .

فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل !!

* وجاء في الإحياء : أن زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما خرج مرة إلى المسجد فسبّه رجل ، فقصده غلامانه ليضربوه ويؤذوه ، فنهاهم زين العابدين ، وقال لهم : كفوا أيديكم عنه ، ثم التفت إلى ذلك الرجل وقال : يا هذا أنا أكثر مما تقول ، ومالا تعرفه عنى أكثر مما عرفته ، فإن كان لك حاجة فى ذكره ذكرته لك !!
فخجل الرجل واستحيا .. فخلع زين العابدين قميصه وأمر له بألف درهم !!

فمضى الرجل وهو يقول : أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله ﷺ .

ه وجاء أيضاً : أن غلامه كان يصب له الماء بإبريق مصنوع من خزف (من طين) فوقع الإبريق على رجل زين العابدين فانكسر وجرحت رجله ، فقال الغلام على الفور :

ياسيدى : يقول الله تعالى ﴿ والكاذمين الغيظ ﴾ .

فقال زين العابدين : (لقد كظمت غيظى) !!

ويقول : ﴿ والعافين عن الناس ﴾ .

فقال زين العابدين : (لقد عفوت عنك) !!

ويقول : ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ .

فقال زين العابدين : (أنت حر لوجه الله) !!

• وجاء في كتاب « تربية الأولاد .. » لعبد الله علوان : قال :
عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوماً فنادى الخادم : يا غلام ..
فلم يجبه أحد ، ثم نادى ثانياً وصاح : يا غلام .

فدخل غلام تركى وهو يقول : أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب ؟
كلما خرجت من عندك تصيح : يا غلام .. يا غلام .. إلى كم
يا غلام ؟ !!

فنكس المأمون رأسه طويلاً - فما شككت فى أن يأمرنى بضرب
عنقه - ثم نظر إلى فقال : يا عبد الله ، إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ،
سأمت أخلاق خدمه ، وأنا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لتحسن أخلاق
خدمنا !!

• وجاء فى « المختصر » للمقدسى : أن رجلاً شتم عدى بن حاتم
وهو ساكت ، فلما فرغ من مقاله قال : إن كان بقى عندك شىء
فقله قبل أن يأتى شباب الحى .. فإنهم إن سمعوك تقول هذا لسيدهم
لم يرضوا .. !!

• وجاء فى « المختصر .. » للمقدسى : أن عمر بن عبد العزيز رحمه
الله دخل المسجد مرة فى الظلمة ، فمر برجل نائم ، فعثر به (أى
أصابه برجله) فرفع الرجل رأسه وقال : أمجنون أنت ؟
فقال عمر : لا .. فهمم به الحرس ، فقال عمر : مه ، إنما سألتنى
أمجنون ؟ فقلت : لا .

• روى الحاكم فى المستدرک : أن معاوية بن أبى سفيان رضى
الله عنه بعث بثمانين ألف درهم إلى عائشة رضى الله عنها ، وكانت

صائمة ، وعليها ثوب خلق (أى قديم) فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء والمساكين .. ولم تبق منه شيئاً ، فقالت لها خادماتها : يا أم المؤمنين : أما استطعت أن تشتري لنا لحماً بدرهم تفتقرين عليه ؟ فقالت أم المؤمنين : يا بنية لو ذكرتني لفعلت !!

* قال « محمد بن إسحاق » : (كان أناس بالمدينة يعيشون ، ولا يدرون من أين يعيشون ؟ ومن يعطيهم ؟ فلما مات زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهما فقدوا ذلك ، فعرفوا أنه هو الذى كان يأتيهم بالليل بما يأتيهم به ، ولما مات وجدوا فى ظهره أثر حمل الجراب - أى الكيس - إلى بيوت الأرامل والمساكين) .

مظهر الداعية وحسن هندامه

يجب على الداعية أن يحرص على مظهره العام ، وحسن صورته وهندامه أمام من يدعوهم ، ذلك لأنه قدوة ، والقدوة لا بد أن يضرب المثل فى حسن المظهر وجمال المخير وصدق السلوك ، وكثيرون ممن يتصدون للدعوة يهملون مراعاة هذا الجانب ظناً منهم أن حسن المنظر من الكماليات التى لا يحتاج إليها علماء الدين ، وهم فى هذا الظن بعيدون كل البعد عن الصواب ، ذلك لأن الدين دعوة إلى الجمال والنظافة الداخلية والخارجية ، ولعل المشتغلين بالدعوة يذكرون الآثار الكثيرة التى تحث على نظافة الجسم والثياب ، وخصوصاً يوم الجمعة فقد قال النبى ﷺ : « اغتسلوا يوم الجمعة ، وأغسلوا رؤوسكم ، وإن لم تكونوا جنباً ، وأصيبوا من الطيب »^(١) .

(١) رواه البخارى .

ويبلغ من شدة حوضه على النظافة بالاستحمام أن بعض الأئمة ذهب إلى أن الاغتسال واجب لصلاة الجمعة .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً ، يغسل فيه رأسه وجسده » (١) .
والداعية الواعى نظيف فى ثوبه وجوربه ، فلا يرضى أن تنتشر بقع الزيت على جبته أو ثيابه ، أو تفوح من أدرانه أو قدميه رائحة منفرة ، ويستعين على ذلك بالطيب - أيضا - فلقد حكى عن سيدنا عمر رضى الله عنه أنه كان يقول : « من أنفق ثلث ماله فى الطيب ما كان مسرفاً » .

كذلك يتعهد فمه ، فلا يشم أحد منه رائحة مؤذية ، وذلك بتنظيف أسنانه يومياً بالسواك والفرشاة والمطهرات والمنظفات ، ويتفقد فمه فيعرضه على طبيب الأسنان مرة كل سنة على الأقل وعلى غيره من أطباء الفم والحنجرة والبلعوم ، إن احتاج الأمر إلى ذلك بحيث يبقى فمه معطر الأنفاس .

تروى السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ « كان لا يرقد ليلاً ولا نهاراً ، فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ » (٢) .
وتبلغ عناية الرسول الكريم بنظافة الفم حداً يجعله يقول : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » (٣) .

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه الشيخان .

وسئلت السيدة عائشة عن أى شىء يبدأ به الرسول الكريم إذا دخل بيته فقالت : « السواك »^(١) .

إنه لما يؤسف له أن نرى (بعض) الدعاة يهملون هذه الجوانب وإنها لمن لبّ الإسلام وصميمه فلا يعتنون بنظافة أفواههم وأبدانهم وملابسهم فتراهم يغشون المساجد لوعظ الناس وتعليمهم وروائحهم تؤذى إخوانهم الحاضرين ، وتنفر الملائكة التى تحفّ هذه الماكن الجليلة المباركة ومن عجب أنهم يرددون للناس فى حلقات العلم قول الرسول ﷺ : « من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم »^(٢) .

لقد حضر رسول الله ﷺ على الذين أكلوا بعض الأطعمة ذات الرائحة الخبيثة الاقتراب من المسجد ، لئلا تتأذى الملائكة والناس من أنفاسهم المشبعة بتلك الرائحة ، ولعمري إنها لأهون شأنًا وأخف وقعًا على النفس من كثير من روائح الملابس والجوارب المتسخة والأبدان القذرة ، والأفواه البُخر ، التى تفوح من بعض الأفراد المتساهلين ، أو الغافلين عن النظافة ، فيتأذى الناس منها فى مجامعهم .

روى الإمام أحمد والنسائي عن جابر رضى الله عنه أنه قال : أتانا رسول الله ﷺ زائرًا ، فرأى رجلاً عليه ثياب وسخة ، فقال : « ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه » ! ؟

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

لقد أنكر الرسول الكريم ﷺ أن يظهر الإنسان على الملأ بثياب
وسخة مادام قادراً على غسلها وتنظيفها ، إشعاراً منه - ﷺ -
للمسلم بأن يكون دوماً نظيف الثياب ، حسن المظهر محب المنظر .

فعل الدعاة إلى الله أن يهتموا بنظافة أبدانهم وثيابهم فلا تفوح
منهم إلا الروائح الطيبة الزكية ، ولا يلبسون إلا الملابس الجميلة
النظيفة أسوة بالنبي ﷺ الذي يروى عنه أنس بن مالك رضی الله
عنهما فيقول : « ماشمت عنبراً قط ، ولا مسكا ، ولا شيئاً أطيب
من ريح رسول الله ﷺ » (١) .

ولقد كان ﷺ إذا صافحه أحد ، ظل يومه يجد ريح الطيب في
يده ، وإذا وضع يده على رأس الصبي ، عرف من بين الصبيان
بالرائحة الزكية .

ومن هدى النبي ﷺ أمره برعاية الشعر وإكرامه فيقول في ذلك :
« من كان له شعر فليكرمه » .

وإكرام الشعر يكون بتنظيفه وتمشيطه وتطيبه وتحسين شكله وهيئته .
ويجدر بالداعية أيضاً أن يحسن هيئته ، ويهتم بلباسه وهندامه بحيث
يكون أتيق المنظر حسن الهيئة من غير مغالاة ولا إسراف ، ترتاح لمرآه
العيون ، وتأنس به النفوس ، خصوصاً إذا أراد لقاء الناس لتعليمهم
العلم فعليه أن يتفقد نفسه ويتجمل لأصحابه وإخوانه .

(١) رواه مسلم .

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ : « روى مكحول عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب ، فخرج يريدهم ، وفى الدار ركوة فيها ماء ، فجعل ينظر فى الماء ، ويسوى لحيته وشعره . قالت عائشة : فقلتُ له : يا رسول الله وأنت تفعل هذا ؟ قال : نعم ، إذا خرج الرجل إلى إخوانه ، فليهيء من نفسه فإن الله جميل يحب الجمال » .

والمسلم يفعل هذا كله وفق نظرية الإسلام التي تقوم على الوسطية فى الأمور كلها دون إفراط أو تفريط : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ (١) .

إنه لما يؤلم النفس والفؤاد أن يسف الداعية فى مظهره إلى درجة الإهمال المزرى بصاحبه ، بدعوى أن ذلك من الزهد والتواضع ، أليس رسول الله ﷺ وهو سيد الزهاد والمتواضعين كان يلبس اللباس الحسن ويتجمل لأهله وأصحابه ، ويرى فى هذا التجمل وحسن الهدنام إظهاراً لنعمة الله عليه ؟

ولذلك يقول : « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » (٢) .

وفى طبقات ابن سعد (٣) : عن جندب بن مكيث رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا قدم الوفد لبس أحسن ثيابه وأمر عليّة

(١) سورة الفرقان : آية ٦٨ .

(٢) رواه الترمذى والحاكم .

(٣) ٢٤٦ / ٤ .

أصحابه بذلك ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ يوم قدم وفد كِنْدَةَ ،
وعليه حُلَّةٌ يمانية ، وعلى أبي بكر وعمر رضی الله عنهما مثل ذلك .
وأخرج ابن المبارك والطبرانی والحاكم والبيهقي وغيرهم عن عمر
رضی الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ دعا بثياب جدد فلبسها
فلما بلغت تراقيه قال : الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى
وأجمل به فى حياتى » .

وكان عبد الرحمن بن عوف رضی الله عنه يلبس البُرد والحلة
تساوى خمسمائة أو أربعمائة^(١) .

واشترى ابن عباس رضی الله عنه ثوباً بألف درهم فلبسه^(٢) .

ومادام التجميل لا يبلغ حد التأنق المفرط ، فهو من الزينة الطيبة
التي أباحها الله لعباده وحض عليها :

﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، واكلوا واشربوا ولا
تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده
والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم
القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾^(٣) .

(١) طبقات ابن سعد ٣ / ١٣٦ .

(٢) الحلية ١ / ٣٢١ .

(٣) سورة الأعراف : الآيات ٣٢ ، ٣٣ .

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ؟ - يعنى : أيعدُّ هذا من الكبر ؟ - قال النبى ﷺ : « إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطرُ الحق^(١) . وغمطُ الناس^(٢) . »

وهذا ما فهمه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان وساروا عليه . ومن ثمَّ كان الإمام أبوحنيفة رضى الله عنه حسن الهيئة والثياب طيب الرائحة ، حريصاً على دوام التأتى فى الملبس ، بلغ من حرصه على تحسين الثياب والهندام أنه كان يحث الناس على ذلك ويبالغ فى حثهم على إصلاح هيئتهم ، ولقد رأى ذات يوم أحد جلسائه فى ثياب رثة ، فانفرد به وقدم إليه ألف درهم ليصلح بها هيئته ، فقال له الرجل : إني موسر ، وفى نعمة ، ولا أحتاج إليها ، فقال له أبوحنيفة معاتباً : أما بلغك الحديث : « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده »؟ فينبغى لك أن تغير حالك، حتى لا يغمط بك صديقك.

وبدهى أن الدعاة إلى الله ينبغى أن يكونوا فى أحسن هيئة ، وأجمل مظهر ، وأتم أناقة ، وأكثر جاذبية من غيرهم ليكونوا أقدر على التغلغل فى مسارب القلوب ، والوصول بدعوتهم إلى دخائل النفوس . على أن هذه العناية بالمظهر لا تنزلق بالمسلم الحق الصادق إلى المغالاة فى التزين ، والإفراط فى التأتى ، إلى حدّ يختل فيه التوازن الذى أقام

(١) أى رده وعدم قبوله .

(٢) أى احتقارهم والاستهانة بهم .

الإسلام عليه تشريعاته جميعاً . فالمسلم الواعى يقظ متنبه دوماً إلى الاعتدال فى كل شىء ، بحيث لا يطفى جانب فى حياته على جانب^(١) .

(١) راجع بالتفصيل الكتاب القيم للدكتور محمد على الهاشمى : شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام فى الكتاب والسنة . جزى الله مؤلفه خير الجزاء وأجزل له المثوبة . وراجع - أيضاً - مسار الدعوة للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى مبحث (مظهر الداعى وحسن هدايته) وراجع : خلق المسلم للأستاذ محمد القرالى مبحث (النظافة والتحمل والصحة) .